**المحاضرة الرابعة**

**الفرضية – النظرية الثانية نظرية الزواج:-**

في مقابل ما جرى عرضه سابقاً، بحث عدد كبير من علماء الاجتماع والانثروبولوجي في اصل الاسرة وتوصلوا الى حد ما الى اثبات ان الزواج على الارجح هو اصل الاسرة.

فقد بحث وسترمارك في الزواج واكد ان الزواج يعد اول النظم الاجتماعية واقدمها وهو الاساس الذي تطورت عنه المجتمعات الانسانية، لكنه بدأ كعادة بدائية ثم تطور واصبح نظاماً اجتماعياً. وقد عرف الزواج "على انه علاقة ثابتة نسبياً بين رجل واحد او اكثر وامرأة واحدة أو اكثر وتتضمن الاشباع الجنسي والتعاون الاقتصادي وتكون معترفاً بها من قبل الاعراف والتقاليد او القانون وتتضمن حقوقاً وواجبات معينة في حال الدخول الى مثل هذه العلاقة وفي حالة انجاب الاطفال".

يتضح من التعريف انه كان بموجب العادة البدائية نوع من الالتزامات البسيطة حول رعاية الاطفال وتقسيم العمل وانها تطورت بصورة تدريجية وبدأت تنظم وتحدد بشعائر ومراسيم واعراف ثم بتقاليد ثم تطورت ونظمت بقوانين ثم تحولت الى نظام اجتماعي.

اعتمد وسترمارك في دراسته على دراسة عالم الحيوان فبين ان الدلائل تشير الى ان الزواج تطور عن عادة بدائية ويمكن اثبات ذلك الى حد ما بالواقع الموجود في العادات البدائية المشابهة والموجودة عند الفصائل الراقية في عالم الحيوان فقد درس الحيوان من اللافقريات والحشرات والفقريات والطيور واللبائن فوجد ان العلاقات الجنسية غير ثابتة نسبياً والحياة الاسرية شبه معدومة عند الفصائل الثلاث الاولى، اما عند الفصائل الاخيرة (الطيور واللبائن) فوجد اختلاف الحال عن غيرها، اذ وجد ان العلاقة الجنسية الزوجية ثابتة نسبياً وعلاقتهم واضحة وان الرعاية الوالدية لاسيما الامومة تكون واضحة وقوية الى حد كبير.

وتتميز الحياة الزوجية والاسرية بالوضوح والثبات النسبي ويرجع ذلك الى الغرائز التي نشأت وتطورت نتيجة لعملية الاختيار والتفضل الطبيعي والميل نحو النفس والجنس وغرائز الامومة. فاذا كانت هذه الحالة موجودة عند الحيوانات الأوطأ من الانسان فمن الضروري ان تكون الحياة الزوجية والاسرية عند الانسان البدائي اكثر وضوحاً واستقراراً. وبالارتكان الى اراء دارون ان الانسان يمثل مرحلة ارقى من الحيوانات وعليه فمن الممكن القول ان الاسرة البشرية منذ البداية كانت تعتمد على نوع من العلاقة الجنسية الثابتة نسبياً والتي يمكن تسميته بالزواج.

وبصورة عامة سواء كانت الفوضى ام الزواج هو اصل الاسرة، فأننا نجد ان هناك شبه اجماع بين علماء الاجتماع على ان الصورة الاولى للمنظمات الاسرية كانت على صورة منظمة الام وانها سبقت في الوجود منظمة الاب وانها وجدت في فترة ما عند غالبية المجتمعات ان لم تكن كلها.

ان النظام الاجتماعي الذي يدور حول سيطرة النساء وجد في عصور بعيدة جداً، الا ان وجودها يفترض وجود بيئة سعيدة نسبياً وقلة العدد ووفرة الغذاء وبساطة الحياة. وتظهر الان عند قبائل اسيوية وافريقية وامريكية واسترالية مثل قبائل المالينيس والمكرونسيا واليس والنيكا والبنقوا وغيرها من القبائل البدوية.

ان من اشهر من كتب في هذه النظرية هم باخوفن ومكلنان وثورنوالد وبريفولتس وهارتلاند.

لقد اتفقوا جميعاً على انما (الامومة) تمثل اصل المنظمات الاسرية الا انهم اختلفوا في تفسير اسباب وجودها. فقد اكد باخوفن وحكلفان وموركان ان سبب وجود منظمة الام (النسب الامومي) اولا يرتبط بحالة الفوضى والشك في الابوة التي تؤدي الى كون العلاقة بين الاب والاطفال غير واضحة مما نتج الى الرجوع او الانتماء الى الام.

اما السبب الثاني في تفسير اسبقية النسب الامومي فيرتبط برأي هارتلاند الذي اوضح ان اقدم صلات النسب هي صلة الطفل بالأم وذلك لان العلاقة بين الام وطفلها ملموسة ومعترف بها منذ البداية بوصفها (الام) هي التي تحمله وتلده وترضعه بينما العلاقة بين الاب والطفل غير ملموسة وتعتمد على التحليل العقلي للعلاقة الطبيعية بين الاثنين التي لا يمكن الوصول اليها مما يتعلق بالعقل البدائي الذي يعزى كل ظاهرة طبيعية مثل الحمل والولادة الى قوى غير منظورة فوق البشر ولا علاقة لها بالإنسان.

اما التفسير الثالث رأي ثورنوالد الذي يوضح ان اساس وجود النسب الامومي يعتمد على العامل الاقتصادي اذ كانت النساء في العصور البدائية اهم مركزاً من الرجال اذ كانت النساء تقوم بالأعمال الاساسية او الرئيسية (الزراعة). اما الرجال فقد كانوا يذهبون الى الصيد او الجمع والالتقاط ويعد الدور الاخير اقل اهمية مقارنة بأدوار الزراعة. وبما ان مركز الشخص يتحدد بماهية العمل الذي يؤديه لذلك اعطى المرأة مركزاً اعلى من الرجال فظهرت نتيجة لذلك سيطرتها واهميتها فيما يتعلق بالأسرة والانتساب اليها.

اما التفسير الاخير لوجود النسب الامومي رأي بريفولس اذ يؤكد ان منظمة الام هي اصل الاسرة والجنس البشري. اذ ان المجتمعات الانسانية تطورت عن جماعات حيوانية، والاسرة البشرية تطورت عن الاسرة الحيوانية التي جاءت نتيجة لغرائز الامومة التي بدورها تستند على اسس نفسية بحتة يعبر عنها بتغذية وحماية الاطفال بصورة لا شعورية. فإلام بوصفها نقطة الارتكاز الاساسية في علاقات الاسرة الحيوانية بعكس الغرائز الجنسية التي لا دور لها في تكوين الاسرة.